الخطاب الذي ألقاه رئيس جمهورية كوبا، فيدل كاسترو روس، في المنبر المفتوح للثورة، في مهرجان الاحتجاج على حصار حكومة الولايات المتحدة وافتراءاتها وتهديداتها لكوبا، والذي أقيم في ساحة "لوس أوليفوس"، سانكتي سبيريتوس، في الخامس والعشرين من أيار/مايو 2002. **[1]**

Datum:

25/05/2002

يا أبناء وطننا الأحباء،

إنها دقائق قليلة فقط من أجل إلقاء التحية عليكم وكلمة قصيرة، موجهة في هذه المناسبة إلى أبناء الشعب الأمريكي بشكل خاص.

إن صراعنا ليس بصراع مع الشعب الأمريكي ولن يكون كذلك أبداً. ربما لا يتم في أي بلد آخر استقبال المواطنين الأمريكيين بالاحترام وحسن الضيافة اللذين يتم استقبالهم بهما في كوبا. لم يسبق أبداً أن تم في كوبا تذنيب شعب الولايات المتحدة أو زرع الحقد تجاهه بسبب الاعتداءات التي تعرضنا لها من جانب حكوماته. لو حدث ذلك لتنافى مع عقائدنا السياسية ووعينا الأممي، الذي خضع للتجربة على مدى سنوات كثيرة، وهو وعي يتجذر يوماً بعد يوم في فكرنا.

إذا كان الوطن هو البشرية، كم حكم مارتيه، فإننا مواطني العالم وأشقاء كل شعوب الأرض. وأطفالها وشبابها وشيوخها ورجالها ونسائها هم أيضاً أطفالنا وشبابنا وشيوخنا ورجالنا ونسائنا نحن، بغض النظر عن الأفكار الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية عند كل فرد.

إن العلاقات بين شعب كوبا وشعب الولايات المتحدة، وبالرغم من تأثر هذا الكبير على مدى عشرات السنوات بطوفان من الدعاية المفترية والمعلومات المغرضة، أخذت تتحسن يوماً بعد يوم، وخاصة منذ أن أيد ثمانون بالمائة من مواطنيه إعادة الطفل المختطف إلى عائلته ووطنه.

طالما فكّرت، اعتباراً من هذا الإمعان في آخر الأحداث التاريخية لهذا البلد، بأنه يمكن للشعب الأمريكي أن يساند قضية سيئة –وليست بقليلة المرات التي فعل فيها ذلك-، ولكن لا بد من خداعه أولاً لكي يفعل ذلك. صحيح أن الصور المؤلمة التي شوهدت يومياً خلال فيتنام لشبان أمريكيين وهم يعودون أمواتاً ساهمت بدرجة كبيرة في وعيه لعقم وظلم تلك الحرب وخروجها عن المنطق، غير أن أمراً مشابهاً لم يحدث في حال الطفل المخطوف. وبعدما عُرف من خلال وسائلهم الإعلامية ذاتها أمر الظلم القاسي الذي كان يجري ارتكابه بحق الطفل، لم يتردد الشعب الأمريكي في الوقوف إلى جانب الحق. وهذا أمر لن تنساه كوبا أبداً!

يبعث الألم العميق أن تجري محاولة خداع هذا الشعب، ذي المعدن النبيل، باختراع شيطاني مفاده أنه يجري تطوير برامج بحث وإنتاج لأسلحة بيولوجية في المختبرات التي يقوم فيها علماؤنا المتفانين في الواقع باكتشاف وإنتاج وتطوير حقن وأدوية وعلاجات تقي من الأمراض أو تعالجها وتوفر الآلام وتنقذ أعداداً لا تحصى من الأرواح.

تم استبدال هذا الحديث بالحديث عن القدرة على إنتاجها. إن أي معرفة فنية-علمية قد نفعت على مدى التاريخ لخدمة الخير أو لخدمة الشر. وفي بلدنا لم يتم التفكير أبداً بإنتاج مثل هذه الأسلحة. لقد تربى علماؤنا على المهمة المقدسة المتمثلة في حماية الأرواح وليس هدرها.

تتمتع كوبا اليوم بضعف ما يتمتع به مجموع البلدان المتقدمة من أطباء مقابل عدد الأفراد. لم يقدم أي بلد ولا يقدم دعماً مجانياً أكبر من الذي تقدمه كوبا للخدمات الصحية لشعوب أخرى، ولا أنقذ عدداً أكبر من الأرواح. وشعبٌ يتصرف على هذا النحو، ليس عنده ولا يمكن أن يكون عنده ميلاً لأن يصبح منتجاً لأسلحة بيولوجية.

وأكبر من المعارف هي الأحاسيس والمشاعر. وفوق كل شيء، يجب أن تكون الحقيقة مقدسة.

بعد أسبوعين من الافتراء المشين، جاء إدراج كوبا التعسفي في قائمةٍ لبلدان ترعى الإرهاب.

أكثر من القلق إزاء الضرر المعنوي والسياسي الذي يمكنه أن ينمّ عن مثل هذه الاتهامات بالغة الوغد، يؤلمنا التفكير بأن يصل الأمر بمواطن أمريكي واحد أن يصدق القول بأنه يمكن لكوبا أن تشكل مصدراً لأي ضرر يمكنه أن نزل به أو بعائلته أو بشعبه.

لم تُهدر قطرة دم واحدة في الولايات المتحدة، ولم تضع ذرة واحدة من الثروة هناك خلال 43 سنة من عمر الثورة نتيجة أي عمل إرهابي مصدره كوبا. على العكس من ذلك، تعد بالآلاف الخسائر بالأرواح وتبلغ أحجاماً كبيرة الأضرار المادية التي لحقت بوطننا نتيجة أعمال مصدرها الأراضي الأمريكية. إنه أمر يجب أن يكون شعب الولايات المتحدة على علم به، بدلاً من إشباعه بالافتراءات والأكاذيب.

الحقيقة الوحيدة التي توجب قولها هي أنه انطلاقاً من كوبا كان يمكن لشعب الولايات المتحدة أن يتلقى حقناً وأدوية وإجراءات طبية من شأنها إنقاذ أرواح كثيرة بالتأكيد، أو أن تنفع لإنعاش الرفاهية والصحة عندما يتوقف الحظر غير المنطقي للتبادل التجاري. إذا كان هذا التعاون المتواضع ممكناً، فإن ذلك يعود إلى أن الأميّة قد اختفت من الوجود منذ زمن طويل في بلدنا، وأنه قد تم إحراز مستوى رفيع من التعليم، وكوبا آخذة بالتحول يوماً بعد يوم إلى بلد ليس بلد مواهب فنية وثقافية كبيرة فحسب، بل وبلد معلمين وعلماء ومئات الآلاف من المواطنين القادرين على إبداع ثروات عبر ذكائهم المهذّب. إنه دليل على ما يمكن فعله بالرغم من التخلف الموروث ومن أطول حصار اقتصادي ومالي عرفه أي شعب كان أبداً.

يؤلمنا كثيراً أيضاً رؤية الشعب الأمريكي غارقاً في مناخ من الرعب الذي يعكّر صفو حياته، ويحد من قدرته الإبداعية ويعرقل نشاطاته الطبيعية ويلحق الأذى باقتصاده.

لا أريد استخدام هذه اللحظة من أجل توجيه انتقادات لما أمكن فعله ولم يتم فعله من أجل تفادي الجريمة النكراء المرتكبة في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر؛ فليست لدي ما يكفي من العناصر للحكم.

كزعيمٍ لبلد كان عليه أن يدافع عن نفسه على مدى أربعة عقود في وجه آلاف الأعمال الإرهابية، أستطيع أن أؤكد بأن الزرع المتواصل للذعر ليس بالطريق الصحيح؛ يمكن لذلك أن ينزل أذى نفسياً بالمواطنين وأن يحوّل حياة هذا البلد الشاسع إلى جحيم لا يحتمل. إن أخطار وقوع أعمال إرهابية كبيرة قد وجدت وتوجد في الولايات المتحدة كما في أي مكان آخر من العالم، سواء كان قبل الحادي عشر من أيلول/سبتمبر أو بعده. بل وأن أشخاصاً فاقدي الصواب ويهيجهم المناخ السائد يمكنهم أن يرتكبونها. لا يمكن لزعماء أي بلد كان أن ينجروا لأخطاء بفعل خوفهم من الحقائق؛ والحقائق التي تهدد المجتمع البشري في الوقت الراهن هي كثيرة ومتنوعة جداً اليوم.

من بين كل الإجراءات الوقائية التي يمكن اتخاذها ضد الإرهاب، هناك بعض أساسي: تعليم الشعب، وإبلاغه بهذه الحقائق والمخاطر، ونقل الهدوء والثقة والمعارف اللازمة إليه من أجل الحصول على أكبر تعاون وأكثره فاعلية من جانبه في هذا الصراع.

نحن الكوبيون، المعتادين على خوض معارك مع الشعب، لا نتصور أي نصر بدون مشاركته ودعمه.

من بين واجبات أخرى كثيرة –بدون أن ننسى الجوع والفقر والتخلف والأمراض التي تصيب مناطق كاملة والتغيرات المناخية وغيرها من الكوارث-، هناك واجب أساسي على كاهل قادة عالمنا المعقد مختنقي الأنفاس، وهو إمعان الفكر والتمحيص في الأسباب والجذور التي نشأت عنها بلية الإرهاب وتطبيق مناهج فاعلة حقاً من أجل محاربته.

ضمن صعوباته الحالية وفي كفاحه ضد وباء الإرهاب، يمكن لشعب الولايات المتحدة أن يحظى بمساعدة هذا الشعب الودي والتضامني والكريم.

عاش النظام السياسي والاقتصادي الذي حوّل كوبا إلى مثال في العدالة والسيادة الكاملة والحرية الحقيقية والكرامة والبطولة!

عاش الشعب الوطني والموحد والمثقف الذي لا يمكن لأي قوة على وجه الأرض أن تستطيع أبداً ثني عزيمته!

سننتصر!

version taquigrafica

Links
[1] http://www.fidelcastro.cu/de/node/3201